الأثر الحضاري والثقافي للغة العربية على لغة الهوسا (نيجيريا أنموذجا)

د. محمد الثاني أبو بكر

جامعة التربية الفيدرالية، كنو – نيجيريا .

مقدمة:

تتمتّع القارة الإفريقية بكونها آهلة بالسّكان الذين هم أصحاب لغات ولهجات عدّة يتراوح عددها بين ثمانمائة إلى ألف لغة [1]، ومن بين هؤلاء سكان المنطقة التي كان بعض كتاب العرب القدامى يطلقون عليها اسم بلاد السودان [2]، وهي منطقة واسعة تمتدّ من حدود الصحراء الكبرى شمالا إلى ما يعرف بنطاق الغابات الوسطى جنوبا، ومن تلال الحبشة شرقا إلى المحيط الأطلنطي غربا، والمنطقة التي تخصّنا في هذا المقال هي المنطقة التي تقع فيها ولايات الهوسا، وهي التي تبدأ من مملكة برنو في الشمال الشرقي في الجمهورية النيجيرية اليوم، وهي منطقة واقعة في الضفة الغربية لنهر نيجر غربا، ومن حدود مملكة أهير شمالا إلى حدود نهر بينوى جنوبا. هذه المنطقة هي المعروفة في التاريخ القديم بمنطقة ولايات الهوسا، وتقع اليوم في شمال جمهورية نيجيريا الاتحادية.

إن جمهـورية نيجيريا الاتحادية لم تكن معروفة بهذا الاسم، وبهذا الشكل الموجود اليوم إلا في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، وقد اقتحم المستعمرون الانجليز تلك المنطقة واستولوا عليها.

وكان الموجود قبل القرن التاسع عشر في جمهـورية نيجيريا الاتحادية هو عدة ولايات وممالك موزعة في تلك المنطقة، تختلف في حجمها وقوتها، وقد تختلف أيضا في عاداتها وتقاليدها، وكانت كل واحدة منها مستقلة ومنفصلة عن الأخرى تمام الانفصال ، إلا أن بعضها وهي ولايات الهوسا كانت تربطها صلة قوية، وهي صلة لغة الهوسا التي تتكلم بها ، وهناك رابطة أخرى تربط كل هذه الولايات الهوسوية ، وهي الرابطة التجارية، إذ أصبحت هذه الولايات الهوسوية يحتاج بعضها إلى بعض إلى الحد الذي تتحالف في أوقات الحروب أو الخوف ضد العدو، ومن ذلك مثلا عندما قام الشيخ عثمان بن فودي بثورته الإصلاحية ضد ما كان من تلك الولايات من فساد في البلاد ضد العباد.

وقد كاتب أمير غوبر " Gobir " (إحدى ولايات الهوسا) إخوانه: أمير كثنه، وأمير كنو ، وأمير زكزك ، وأمير دَوْرَا ، وغيرهم يطلب المساعدة منهم هذا ضد الشيخ الثائر. [3]

وجاءت حركة الشيخ عثمان بن فودى الإصلاحية هذه في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي وأدت إلى تأسيس مملكة إسلامية مكوّنة من مجموعة من الولايات التي كانت موجودة في تلك الحقبة التاريخية ، واتسع نطاق تلك المملكة الإسلامية حتى شمل ما يربو على نصف مساحة نيجيريا الحالية، من الناحية الشمالية. [4]

وبعد ذلك دخل الإنجليزية فكانوا في جولاتهم الاستعمارية يطلقون على تلك البلاد اسم محميّة ساحل نيجر«Niger coast protectorate» تارة، والبلاد الواقعة في حوض نهر نيجر« The Territories in the Basin of the Niger » تارة أخرى، وغير ذلك من الأسماء. وأخيرا سمّوها، في مطلع القرن العشرين الميلادي، بنيجيريا، بعد أن تمّ استعمارها. [5]

وأما عن دخول الإسلام نيجيريا، فإن أكثر المؤرخين والباحثين الذين كتبوا في هذا الموضوع يذهبون إلى أن الإسلام دخل فيما بين القرن الحادي عشر والرابع عشر الميلادي [6] ، ودعّموا أقوالهم بأن الإسلام دخل أول ما دخل في مملكة (كَانِمْ) في القرن الحادي عشر، وأن أول من اعتنقه من ملوكها هو هُمْى جلْمِى (1085 – 1097) ، وسمى نفسه محمدا [7] ، وأسلمت على يده مملكته كلها، وأما في ولايات الهوسا فإن الإسلام دخل (كنو) في القرن الرابع عشر الميلادي، وأن أول ملك أسلم فيها هو عَلِىٌّ يَاجِى (1349 1385 – م)، وانتشر الإسلام في عهده أيما انتشار.[8]

ومن هاهنا نرى أن حركة الشيخ عثمان بن فودى الإصلاحية ليست هي البداية لدخول الإسلام في نيجيريا، وإنما هي حركة تجديدية للإسلام، غير أنها تعتبر حجر الأساس في بناء صرح حضارة الهوسا وتاريخ لغتها وانتشارها داخل وخارج مماليك ولاية الهوسا، ومن ثم فإن من هموم هذا المقال تسليط الضوء عن قبيلة الهوسا وعلاقة لغتها بالعربية، والتأثير والتأثر الحضاري بين اللغتين، وذلك ما سنبينه لاحقا بإذن الله تعالى.

- **مفهوم كلمة (الهوسا) :**

تطلق كلمة الهوسا ، ويراد بها أحد المعنيين :

أ - الشعوب والقبائل .

ب - اللغة.

أولا: الشعوب والقبائل.

هناك روايات متعددة ومتقاربة عن أصل الشعوب و قبائل الهوسا منها ما يشير إليه الأمين أبو منقه [9] من أن خلاصة ما اجتمعت عليه الافتراضات المتعددة عن أصل قبائل الهوسا أنهم عبارة عن مزيج من العنصر الحامي ، وعلى وجه التحديد البربري مع العنصر الزنجي نتيجة هجرات البربر في الصحراء الكبرى جنوبا إلى إقليم السافنا الأوسط في البلاد التي تعرف ببلاد الهوسا . ونشأت هذه المجموعة العرقية الجديدة نحو القرن العاشر الميلاي [10] ، وتوحدت فأفرزت لغة وثقافة وعادات متميزة عرفت بالهوسا.

وفي رواية أخرى أن قبائل الهوسا هي القبائل الساكنة بين المنطقة التي تسمى مملكة بَرْنُو "Borno " شرقا والمنطقة الواقعة في الضفة الغربية لنهر نيجر غربا ، ومن حدود مملكة أهير شمالا إلى حدود نهر بينُوَىْ زِصخِس جنوبا ، وكانت ساكنة في هذه المنطقة ومبعثرة فيها من زمن سحيق، ويقول المؤرخون : إن قبيلة الهوسا كانت مجموعة زراعية تسكن في أرض خصبة ، كل واحدة منها مستقلة عن الأخرى ، وتجمعها كلها لغة الهوسا ، وبعد مرور فترة طويلة من الزمن تكاثرت وتجمعت ثم تطورت إلى ولايات عدة .[11]

ولم يذكر المؤرخون شيئا - على وجه التحديد - عن تاريخ نشأة تلك الولايات ، ولا عن الفترة التي أخذتها قبل تطورها إلى الولايات ، وإنما المعروف عنها وجود عدد من تلك الولايات في القرن الحادي عشر الميلادي ، ومنذ ذلك التاريخ ازدهر بعضها وأصبح مركزا تجاريا وملتقى للقوافل التجارية .[12]

وحسب الأسطورة الشائعة عن بزوغ ولايات الهوسا يقسم المؤرخون هذه الولايات الهوسوية إلى مجموعتين هما :

*** المجموعة الأولى :**

وتسمى بالولايات السبعة الأصلية " HAUSA BAKWAI " وهي : كَنُو "KANO" و كَتِنَهْ "KATSINA" وزَكْزَكْ "ZAZZAU " ، و دَوْرَا " DAURA" وغُوبِرْ "GOBIR" ، وغَارْنْ غَبَسْ GARUN GABAS ، ورَنُوْ "RANO" .

*** المجموعة الثانية :**

وتسمى الولايات السبعة الفرعية "BANZA BAKWAI" ، وهي : كِبّ "KEBBI" ونُفى "NUPE" ، ويُوْرُبَا "YORUBA" ويَاوُرِى " YAWURI"، وكُوْرَرَّفَا "KWARRAFA" وبَرْغُو "BARGU"، وزَنْفَرَ " ZANFARA " .

وتقول الرواية الأسطورية : إن تاريخ نشأتها كولايات يرجع إلى وقت واحد ، وإن مؤسسيها وأمراءها الأوائل كانوا من أصل واحد ، هو بياجد "BAYAJIDDA" ، وإن بَاوُوْ "BAWO" بن بياجد هو الذي أنجب سبعة أولاد، وقام كل واحد منهم بتأسيس ولاية، فكانت المجموعة الأولى.

كان اسم بياجد "BAYAJIDDA"، الحقيقي أبا يزيد ، وقد هاجر من الشرق العربي إلى دَوْرَا "DAURA" (إحدى ولايات الهوسا) وخلّف ولدا أنجب سبعة أولادا ، وقام كل واحد منهم بتأسيس ولاية ، وهي الولايات الهوسوية السبعة الأصلية ، كما مر بنا سابقا.

كما يؤكد المؤرخون احتمال كون الإسلام قد دخل بعض تلك الولايات عن طريق التجارة في وقت مبكر ، كدخوله مملكة غانة القديمة وكانِمْ ، ويؤيد هذا القول ما ذكره بعض المؤرخين [13] من أن الإسلام كان منتشرا في القرن الحادي عشر الميلادي من مملكة غانة غربا إلى مملكة كانِمْ شرقا ، لأن هذه الحدود المذكورة تضم أكثر ولايات الهوسا الموجودة في ذلك الزمن .

كما يذهب المؤرخون إلى القول بأن انتشار الإسلام بطريقة واسعة لم يحدث إلا في القرن الرابع عشر حينما بدأ كثير من القبائل الفلانية "FULANI" يهاجر من مملكة مالي، وما جاورها إلى بلاد الهوسا شرقا.

وكان لهجرات القبائل الفلانية هذه أثر بعيد في تاريخ نيجيريا عموما، وتاريخ قبائل الهوسا خاصة، لأن الفلانيين المتحضّرين المقيمين في المدن مسلمون، ومتمسّكون بدينهم، وفيهم علماء ينشرون الدين بطريقتي التدريس والدعوة، وينتقلون من مدينة إلى أخرى طلبا للعلم والتعلّم.

وكانت ثقافة الفلانيين المتحضّرين الدينية أرقى من ثقافة غيرهم من سكان تلك المناطق، لذلك نجدهم إذا ما دخلوا مدينة سرعان ما يستميلون سكانها، ويأخذون زمام الملك فيها، وخير شاهد على ذلك استيلاؤهم على ولايات الهوسا وسيطرتهم عليها كلها، واحدة تلو الأخرى، بزعامة قائدهم الشيخ عثمان بن

فودى، في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي، واستمروا يحكمونها بأنفسهم إلى أن اعتدت القوات الاستعمارية على تلك البلاد، واستولت عليها سنة 1903. [14]

وتعتبر مدن كنو "KANO" ، وكشنه "KALSIM" ، وزكِزَكْ " ZAZZAU" ثلاث ولايات رئيسية من ولايات الهوسا ، كان لها الفضل الكبير في نشر الثقافة العربية الإسلامية في بلاد نيجيريا قديما وحديثا .

ثانيا : اللغة .

وكلمة الهوسا تعني اللغة، التي تتحدث بها الشعوب والقبائل، ساكنة المنطقة التي تعرف بولايات الهوسا. وقد تعددت الروايات حول اشتقاق كلمة الهوسا واختلفت كثيرا ، ونحاول أن نلمّ ببعض منها على هذا النحو :

أ - يقول العالم اللغوي الانجليزي سكينا "SKINNER"(1968م) : إن كلمة الهوسا انحدرت من أصل لغة أهل السنغاي، ذلك لأنه كان يرى أن العلاقة القديمة بين شعبي الهوسا والسنغاي هي التي جعلت الهوسويين يلجأون إلى اقتراض كلمات من السنغاي . وعليه فإننا نرى أصل كلمة الهوسا من (أوسا) "AUSSA" ، وهو اسم أطلقه أهل السنغاي على الذين يسكنون المنطقة الشرقية من بلادهم ، فاقترضها الهوسويون بعدئذ ، وسموا أنفسهم بها ، فصارت علما عليهم قد اشتهروا به .

ب - وفي رواية للباحث اللغوي الانجليزي "C.R.NIVEN" (1971) يقول : إن أصل كلمة الهوسا جاءت من لهجة الطوارق، اقترضها الهوسويون منهم، لأنهم ، أي الطوارق، كانوا يسمون الذين يسكنون على ساحل بحر كوارَا " Kwara" بهوسا .

ج - ويقول المؤرخ الهوسوي الكبير، أمين كنو "aminu kano" : كلمة الهوسا محرّفة من كلمة الحبشة ، لأن قبيلة الهوسا منحدرة من أصل الحبشة، ولما أكثروا من نطق الحبشة حرفوها ونطقوها الهوسا بدلا من الحبشة.

د -ويقول صاحب السموّ الملكي الهوسوي أمير بلد نِنْفي "sarkin ningi " الحاج هارون، معتمدا على الأسطورة الشائعة من أن بياجد "bayajidda" ، لما وصل إلى مدينة دَوْرَا "daura" ليلا نزل عند امرأة عجوز واسمها أيّانَا "ayyana" أو "ويْرَا waira" وهناك ربط حصانه، ثم قتل حية اسمها سَرْكِ "sarki" .

ولما سألت ملكة مدينة دورا "daura" - واسمها دَوْرَامَا "durama" - عمن قتل الحية قامت العجوز ، قائلة إنه رجل قتلها، ثم قالت أيضا بلغة الهوسا : يا هَوْسَا بمعنى (ركب ثورا) ، وكلمة الهوسا حسب هذه الأسطورة تكون مركبة تركيبا مزجيا ، من جزئين هما : " hau" وسا "sa".

وبدلا من أن تقول العجوز: «ركب الحصان»، بدلت وقالت: ركب الثور، ذلك لأن الحصان حيوانا غير معروف لدى الهوسويين، وإنما المعروف عندهم هو الثور في ذلك الزمن. ويكون هذا الرجل هو أول مَنْ أدخل الحصانَ إلى بلاد الهوسا، وعرّفهم عليه، لأول مرة في التاريخ ، ومنذئذ صارت كلمة الهوسا علما على هذه القبيلة. والحقيقة أن هذه الكلمة من أسماء الأعلام المركبة تركيبا مزجيا.

وأمثال هذه الأساطير كثيرة، وكلها لا تثبت حقيقة أصل كلمة الهوسا أو أصل شعوبها وقبائلها ، وأرجع بعض المؤرخين السبب في غموض تاريخ أصل الهوسا إلى عدم وجود تاريخ مدوّن لهم ، باعتبار هذه الشعوب أمية لا تعرف القراءة و لا الكتابة ، وأمسى تاريخهم مفقودا تكتنفه غشاوة الغموض والضبابية،

وشأن الهوسا في ذلك كشأن سائر شعوب وقبائل غرب إفريقيا ، وفقدانهم القدرة على كتابة تاريخهم بأنفسهم قبل اتصالهم بالعلماء من الغلانيين والونغراويين، في القرن الرابع عشر الميلادي.

وذهب بعض العلماء إلى القول بأن كلمة الهوسا ليست قديمة في تاريخها ، وإنما هي حديثة جدا بحيث لا تتجاوز بدايتها القرن السادس عشر الميلادي ، لأنها لم تأت على لسان المؤرخين ولم يسموها بهذا الاسم إطلاقا ، ولنا مثال على ذلك المؤرّخ ابن سعد الذي زار ولايات الهوسا قبل القرن الثالث عشر ، و ل. إ أو أفريكانوس "L.E .O .Africanus" الذي قال بأنه سمع الناس في هذه الولايات يتكلمون بلهجة غوبر "Gobir" في حوالي القرن الخامس عشر الميلادي [15] .

ويؤيد هذا ما سبق أن ذكرناه في السطور السابقة من أن الموجود قبل القرن التاسع عشر في المنطقة التي تسمى ولايات الهوسا هو عدة ولايات وممالك موزّعة تختلف في حجمها وقوتها ، وقد تختلف أيضا في عاداتها وتقاليدها ، مما يجعل كل واحدة من تلك الممالك مستقلة عن الأخرى ومنفصلة عنها تمام الانفصال ، ولا صلة بينهم إلا الحرب والغارات فيما بينهم قصد توسيع مماليكهم، ولم يشعروا بالحاجة إلى الاتحاد إلا بعد أن كثرت عليهم الغارات الخارجية، وعند ذلك صار لزاما عليهم أن يتصالحوا ويتكاتفوا ضد عدوّهم المشترك، وعندئذ بدأوا فعلا يعقدون الأحلاف في أوقات الحرب أو الخوف من العدو ، كفعلهم عندما قام الشيخ عثمان بن فودى بثورته الإصلاحية ضد ما ظهر من فساد تلك الولايات ، فكتب ملكهم " Gobir" إلى زملائه يطلب النجدة منهم ضد الشيخ المهاجم . [16]

ومهما يكن من أمر فإن لغة الهوسا كانت ولا تزال منتشرة على نطاق واسع في غرب إفريقيا كلها ، وتعتبر كل من نيجيريا و النيجر أكبر تجمع الهوسا في التاريخ الحديث ، وصارت الهوسا عندهم لغة المعاملات التجارية والمالية والتواصل في كل من غانة وبنين ومالي وبوركينافاسو وسيراليون وغينيا وساحل العاج. وحديثا اتسع مجال استعمال لغة الهوسا فهي تدرس في الجامعات الأوربية والأمريكية والإفريقية ، وتبث بها كبر الكثير من الإذاعات الأوربية والإفريقية.[17]

كما تعد لغة الهوسا ثاني أو ثالث أهم وأكبر لغات إفريقيا الوطنية بجانب العربية والسواحيلية ، وتنحدر من فصيلة اللغات الإفريقية الأسيوية التي تضم العشائر اللغوية التالية:

1 - اللغات السامية ومنها العربية.

2 - اللغات التشادية ومنها الهوسوية.

3 - اللغات المصرية القديمة.

4 - اللغات البربرية.

5 - اللغات الكوشية.[18]

ويدلّ هذا على أن اللغتين (العربية والهوسا) من أصل واحد هو اللغات الإفريقية الآسيوية، إلا أنه حدث الانفصال بينهما منذ أمد بعيد ، فنشأت كل واحدة منهما مستقلة عن أختها ، وفي ظروف بيئية واجتماعية وتاريخية مختلفة نتج عنها - كما هي العادة في طبيعة اللغات - أن طرأت عليها تغييرات مختلفة.

كما تعرضت كل منهما إلى تأثيرات خارجية متباينة، كما يظهر من نفوذ الفارسية واليونانية في مفردات اللغة العربية ، ونفوذ لغة سنغاي والكانور في لغة الهوسا، ورغم كل هذا يظلّ الرّكام الموروث من الشجرة الأم موجودا حيّا في ثنايا اللغتين وطياتهما، ومن هاهنا نفهم أن العربية والهوسوية قد رضعتا ثدي أم واحدة في يوم من الأيام ، وأنهما وغيرهما من لغات هذه الفصيلة من أصول واحد مشترك.

ولدعم هذه الفكرة عمد الباحثون إلى إيراد أكبر قدر متاح من أوجه الشبه بين اللغتين في بحوثهم ، مقتدين في ذلك بمنهج علم اللغة المقارن في إثبات مثل هذا النوع من العلاقات العرقية بين اللغات ، وطبقوا ذلك تطبيقا علميا مدعوما بالأمثلة من اللغتين ، ومن غيرهما من لغات الفصيلة الإفريقية الآسيوية ، وقد كانت الحصيلة بروز اشتراك وتشابه مذهلين في مختلف مجالات اللغة من أصوات ومفردات ونحو وصرف ، بين اللغة العربية والهوسوية .

ولما كان الكثير من القراء العرب يجهلون الأصل المشترك بين اللغتين (العربية و الهوسوية)، فإنني سأحاول تسليط الأضواء، حسب القدرة، على هذا الأصل المشترك بين اللغتين والتأثيرات الحضارية التي فرضتها العربية على الهوسوية.

- العلاقة بين العربية و الهوسوية :

تنقسم العلاقة بين اللغتين إلى نوعين:

النوع الأول : هو العلاقة العرقية بينهما.

النوع الثاني : العلاقة الحضارية.

أما العلاقة العرقيّة فهي متمثّلة في الأصل المشترك والتشابه المذهلين في مختلف مجالات اللغة من أصوات ومفردات، ونحو وصرف بين العربية والهوسوية، وليس هذا من قبيل اقتراض لغة الهوسا لبعض مفرداتها من اللغة العربية.

ونبدأ بالنوع الأول الذي هو:

- العلاقة العرقية ومظاهرها :

المظهر الأول: التشابه في الأصوات.

ثبت لدى العلماء وجود اشتراك وتشابه شديد بين العربية والهوسوية في الفونيمات أو الحروف الصامتة بسبب العلاقة العرقية بينهما، فالحروف الصامتة في لغة الهوسا ثلاثون صوتا، وللعربية ثمانية وعشرون صوتا ، كما تشترك اللغتان في عشرين صوتا وهي : (ء : A) ، (ب :b) ،(ت: T)،(ج:J) : ،(د : D) ،(ض : D)،(ر :R) ، (ز: Z) ،(س :S) ،(ش :SH) ،(ف :F) ،(ق : K) ،(ل : L)، (ن : N)،(هـ :H) ، (م :M)، (ي :Y) ، (ج الجيم القاهرية : G) [19]

ومثال هذه الأصوات في المفردات الهوسوية هي :

1 - صوت الهمزة وهو « أ » : أكْيَا : AKUYA شاة، صوت حنجري انفجاري مهموس.

2 - الباء (b) ومثاله : بَقِي : ةثءَ أسود ، صوت شفوي انفجاري مجهور مرقّق .

3 - الجيم : (J) ومثاله : جَارِ : JARI رأسمال ، فهو في العربية حنكي مجهور شبه انفجاري مرقق وفي الهوسا مركب لثوي حنكي مجهور شبه انفجاري في الجزء الأول واحتكاكي في الجزء الثاني .

4 – التاء (T) ومثاله: تَفِيَا :TAFIYA سفر، صوت لثوي انفجاري مهموس مرقق.

5 – الجيم القاهرية (g) ومثاله : غري GARI مدينة ، غِرْغِزْ Girgiza =اهتزاز ، وهو صوت حنجري انفجاري مجهور مرقق ، كما في الأمثلة .

6 – صوت الدال : (D) صوت لثوي انفجاري مجهور مرقّق، ومثاله : دَامِنَا Damind =خريف ، دامِسَ = Damisa .

7 – الراء : (R) ، صوت الراء في العربية لثوي تكراري مجهور متوسط ، وتكون مرققة مطلقا إذا تلتها كسرة وتفخم إذا سبقتها حركة الفتحة، وكانت ساكنة ، أما صوت الراء في الهوسا فيتفق مع الراء العربية من حيث المزج وصفتي الجهر والتكرار، ومثاله: رِيجْيَا : Rijiya= بئر.

ويلاحظ الفرق بين نطق نوعين من الراء ودرجة التكرار فيها، كما في المثال السابق، مع ترقيق كما في : رَنِي Rani = صيف ، ومَرِنَا Marina = مصبغة ، والنوع الثاني مفخّم قليلا ، كما في رُوَا Ruwa= ماء ، رُمْفَا Rumfa = مظلة .

8 – الزاي : (Z) أسناني لثوي احتكاكي مجهور مرقّق ، ومثاله زَافِي Zafi =ثخونة / حرارة ، زَاقِي Zaki = حلاوة = زَاكِ Zaki = أسد .

9 – السين : (S) صوت لثوي احتكاكي مهموس مرقّق ، ومثاله سَرْكِي Sarki = أمير، غَسْكِسَا Gaskiya = الصدق / الحقيقة ، بِسَ Bisa = فوق.

10 – الشين (ch-sh) صوت احتكاكي مهموس مرقق ، ومثاله : شُوكَا Shuka = زراعة، بِشِيَا Bishiya = شجرة ، قِشِرُوَا Kishiruwa = عطش ، هَرْشِي Harshe = لسان.

11 – الطاء : (D) ، صوت أسناني لثوي انفجاري مهموس مفخم ، وهو يختلف عن صوت الطاء في اللغة العربية في أن الطاء الهوسوية يحدث الانفجار فيها بشفط الهواء إلى داخل الفم ، كما يحدث في الأمثلة الآتية، وهي : طَيَا Daya = واحد ، طَرِي Dari =مائة ، طَاكِي Daki =حجرة / غرفة ، كَطَن Kadan=قليل ، هُطُ Hudu =أربعة بينما اندفاع الهواء في الطاء العربية إلى خارج الفم .

12 – الفاء : (f) ، وهو صوت أسناني شفويّ احتكاكي مهموس، وينطق الفاء صوتا بين الفاء والصوت (P) الإنجليزية في لغة الهوسا [20]. ويلاحظ أن اللغة العبرية ، وهي أخت للعربية ليس فيها صوت الفاء بل مكانه صوت (P) تماما كما في لغة الهوسا [21] ومثاله في الهوسوية : فَرْكُوْ Farko =بداية ، فَتَوْثِي Fatauci = تجارة ، رافِي Furfura = مهر .

13 – القاف (K) ، صوت لهوي مهموس انفجاري مفخم، وهناك اختلاف ضئيل بين القاف في العربية ونظيره في الهوسا، إذ أنه في الهوسا مرقّق شفطي، أي يحدث الانفجار فيه بشفط الهواء إلى داخل الفم ، ومثاله في المفردات الهوسوية هو : رَاقُمِي Rakumi =جمل ، هَقُرِي Hakuri = صبر ، قَرْشِي Karshe =نهاية، قَيَا Kaya = شوكة ، قَرْيَا Karya =كذب ، سَوْقِي Sauki = سهولة

14 – صوت الكاف (K)، وهو صوت حنكي انفجاري مهموس مرقّق، ومثاله في لغة الهوسا كَرِي Kare =كلب ، كُنْيَا Kunya =حياء.

15 – اللام (L)ج صوت لثوي جانبي مجهور وسط بين الشدة والرخاوة ، والأصل في اللام العربية الترقيق ولكنها تفخم إذا وقعت مفتوحة وجاورها أحد

أصوات الاستعلاء ولاسيما الصاد والطاء والظاء ساكنا أو مفتوحا.[22]

وأما اللام في لغة الهوسا، فتكون مرقّقة لعدم وجود أصوات الإطباق في اللغة الهوسوية، ومثالها لَمْبُو Lambu =حديقة ، لَلّي Lalle =حناء .

16 – الميم : (M) ، صوت شفوي مجهور متوسط ، ومثاله مَاتَا Mata= نساء، مَزَا Maza= رجال ، مَاكُوْ Mako =أسبوع ، جيمَاغي Jemage = حفاش ، جِمِنَا Jimina = نعامة ، كُنَامَا Kunama =عقرب.

17 – النون : (N) ، صوت لثوي أنفي مجهور متوسط ، مثل نُمْغَاشِي = Numfashi تنفّس، نُوْانُوا Nono =لبَن ، نَاما Nama= لحْم .

18 – صوت الهاء (H) ، حنجري احتكاكي مرقق مهموس ، مثل Hutu =راحة ، هَيَاقِي Hayaki =دخان .

19 – صوت الواو (W)، شفوي متوسط مجهور ، مثل : وَايُوْا Wayo = ذكاء، وُرِي Wuri = مكان .

20 – صوت الياء (Y) ، متوسط حنكي مجهور ، ومثاله : يَمَّا Yamma =جهة الغرب، يَوَا Yawa =كثرة ، يَايي Yaye =فطام ، وُيَا Wuya =عنق ، سُوِيَّا Soyayya =محبة ، غَيْسُوَا Gaisuwa =تحية .

هذه هي الأصوات الصامتة العشرون، المشتركة بين اللغة العربية ولغة الهوسا وهي متطابقة تماما عدا الاختلاف الضئيل في نطق أصوات الطاء والقاف والفاء، كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

وتنفرد اللغة العربية بتسعة أصوات لا وجود لها في لغة الهوسا، وهي على الترتيب :

1 - صوت الثاء: مثل: ثلاث ثمن.

2 - صوت الذال: مثل: هذا، ذلك.

3 - صوت الحاء: مثل: حاكم، تحية.

4 - صوت الخاء: مثل: خير، تاريخ.

5 - صوت الصاد: مثل: أصل، نصر.

6 - صوت الضاد: مثل: ضرورة، هضم.

7 - صوت الظاء: مثل: ظالم، ظهر.

8 - صوت العين: مثل:عبادة، عيادة.

9 - صوت الغين: مثل: غاية، غنيمة.

وتنفرد الهوسا بعشرة أصوات لا نظير لها في اللغة العربية، وهي :

1 - صوت (يـ) (Y)(23) ، صوت مركب حنجري حنكي مهموس ، يبدأ النطق به من موضع صوت الهمزة ولا يتم النطق إلا بالانزلاق اللساني إلى موضع النطق بصوت الياء ، مثاله : يـ (Ya) =ابنة ، يَنْثِ Yanci =حرية ، يَيَا Ya Ya =أبناء .

2 - صوت بـ (b) ، وهو صوت يشبه الباء تماما إلا أن الانفجار فيه يحدث بشفط الهواء إلى الداخل ، فهو صوت شفوي شفطي مجهور ومثاله : بِيرَا bera =فأر ، بَوْرِى baure =تين ، بَرَوُا barawo = لص .

3 - صوت ظ (TS) ، صوت مركب لثوي مهموس احتكاكي، وللنطق به يرتفع مقدم اللسان نحو اللثة لنطق صوت الثاء، ولكن لا يتم النطق الانفجاري المصاحب لصوت التاء بل ينتقل اللسان بسرعة إلى موضع النطق بصوت السين

حيث يحدث الانفجار ، غير أن الفرق بينه وصوت السين هو أن الهواء في (ts) يبدأ من الحلق بينما يبدأ في صوت السين من الرئة [24] مثاله : ظيَا tsaya =قف، ظنْظو tsuntsu = طائر.

4 - صوت ثَ (C) ، وهو صوت مركّب لثوي حنكي مهموس احتكاكي، للنطق به يرتفع مقدم اللسان نحو اللثة، كنطق صوت التاء، ولكن لا يتم الانفجار المصاحب لصوت التاء بل ينتقل اللسان بسرعة إلى موضع نطق صوت الشين حيث يحدث الصوت الاحتكاكي ، مثل ثِكِ CIKI =بطن ، ثُوتَا Cuta =مرض، هَنْثِ Hanci =أنف .

5 - صوت غُوَ (g w) ، صوت مركب أقصى شفوي مجهور، جزؤه الأول انفجاري للنطق به يوضع اللسان في موضع النطق بصوت الجيم القاهرية ، ولكن لا يتم النطق الانفجاري المصاحب لذلك الصوت، كما لا يتم النطق إلا بعد استدارة الشفتين وثبات اللسان في نقطة خاصة بنطق صوت الوا ، ومثاله : غُوَدَ gwada =قياس ، غُوَنِيْ Gwauni =ماهر ، أغُوَاغُوَا Agwagwa =بطة ، غُويوَا Gwuwa =ركبة.

6 - صوت غِي (gy) ، صوت مركّب أقصى حنكي مجهور جزؤه الأول انفجاري، وهو يبدأ من موضع النطق بصوت الجيم القاهرية، ولكن لا يتم النطق الانفجاري المصاحب للنطق بالصوت ، بل ينتقل اللسان بسرعة إلى موضع النطق بصوت الياء، ومثاله : غِيَارَا gyara =إصلاح ، غِيَطَا gyada =فول سوداني (كاوكَاوْ) ، غِيَنْغِيَطِي gyangyadi =نعاس .

7 - صوت قُوَ (KW)، وهو صوت مركب أقصى شفوي جزؤه الأول شفطي مهموس يحدث الانفجار فيه بشفط الهواء المنحبس في الحلق إلى داخل الفم ، وللنطق به يوضع اللسان في موضع النطق بصوت القاف ، ولكن لا يتم الانفجار ، كما لا يتمّ النطق إلا بعد استدارة الشفتين وثبات اللسان في نقطة خاصة بنطق صوت الواو ، ومثاله : قُوَيْ Kwai = بيض ، قُوَاثِي Kwace = سلب ، مُقُوَوْثِي Makwauci =جار .

8 - صوت قِيَ (KY)، صوت مركب أقصى مهموس جزؤه الأول شفطي، أي يحدث الانفجاري فيه بشفط الهواء من الحلق إلى داخل الفم، ولكن قبل أن يحدث الانفجار ينتقل اللسان بسرعة إلى موقع النطق بصوت الياء ، ومثاله : قِيَاشِي Kyashi=عدم الرغبة في شيء (التعفف) ، قِيَوْرِي Kyaure =باب ، قِيَلَقِيَلِي Kyalkyali =لعان .

9 - صوت كِيَ (Ky) ، وهو صوت مركب أقصى مهموس جزؤه الأول هو صوت الكاف والنطق به يتخذ اللسان موضع النطق بالكاف و لكن لا يحدث الصوت الانفجاري المصاحب له بل ينتقل اللسان بسرعة إلى موضع النطق بصوت الياء ، مثل : كِيَوْ Kyau =جمال ، كِيَنْوَا Kyanwa =قط ، كِيَوْتَا Kyauta = هدية ، كِيَنْكِيَسُو Kyankyaso = صرصور.

10 -صوت كُوَ (KW) ، صوت مركب أقصى شفوي مهموس جزؤه الأول انفجاري للنطق به يوضع طرف اللسان في موضع النطق بصوت الكاف، ولكن لا يتمّ الانفجار المصاحب لصوت الكاف، كما لا يتم النطق إلا بعد استدارة الشفتين وثبات اللسان في نقطة خاصة بنطق صوت الواو ومثاله : كُوَانَ

Kwana = مبيت ، كُوَنْدُوْ Kwando = سلة، كُوَطُو Kwado = ضفدع ، تَكُوَسْ Takwas =ثمانية .

وهذه هي الأصوات الهوسوية العشرة التي لا توجد في اللغة العربية بالرغم من أنهما انحدرتا من أسرة واحدة ، والسؤال المطروح هاهنا هو :

- **ما هو السبب في هذا الاختلاف ؟**

وللإجابة عن هذا السؤال قال العلماء : يغلب الظن من أن أجد هذه الأصوات وهو صوت بـِ (b) صوت دخيل في لغة الهوسا ، انتقل إليها من لغة مجاورة ، ربما لغة الفلاني . [25]

وبالنسبة للأصوات التسعة المتبقية التي هي أصوات مركبة من صوتين ، فقد اعتقد العلماء أنها شائعة في اللغات الإفريقية ، لذلك فهي طارئة في لغة الهوسا من تأثير اللغات التي حولها.

وأن صوت : ظ (ts) يوجد في التقرينية (إحدى لغات الحبشة) ، وهي لغة سامية كما هو معروف ، وأورده كارل بروكلمان ضمن الأصوات الأصلية في اللغات السامية ، وقال عنه إنه صوت رخو مهموس يتكوّن بوضع طرف اللسان عند اللثة مع تفسير مؤخرة اللسان شيئا ما . [26]

ونلاحظ هنا صدق الفرضية التي تقول بأن كلمة الهوسا منحرفة من كلمة الحبشة لانتماء قبيلة الهوسا إلى الحبشة.

جدول يوضّح مخارج وصفات الصوائت العربية والهوسية

المخارج	الصفات															
	شديد / انفجاري				رخو / احتكاكي				مركب	متوسط						
	مجهور		مهموس		مجهور		مهموس		مجهور	مجهور	تكراري	أنفي	لين (شبه لين)			
	مفخم	مرقق	مفخم	مرقق	مفخم	مرقق	مفخم	مرقق	مرقق	جانبي						
شفوي labials	b	ب b										م m				
شفوي أسناني Debio - dental							ف f									
أسناني dental					ظ	ذ		ث								
أسناني لثوي dental Alveolar	ض	د d	ط d	ت T				ts		ل L		ن N				
لثوي Alveolar					ز Z	ص	س S				ر R					
غاري Palatals							ش SH		ج J				ي Y			
طبقي Velaris			غ	ك K		خ			KY				و W			
طبقي شفوي Labilised Velars				KW	KW				gW							
لهوي Uvalars				K	ق											
حلقي Pharyangeals					ع		ح									
حنجري Glotal		الجيم القاهرية g		ء			هـ H									

- الصوائت أو الحركات:

وتوجد في اللغة العربية ثلاث حركات قصيرة هي: الفتحة (a) الكسرة (i)، الضمة (u)، وتقابل كل واحدة منها حركة طويلة، والفرق بين الحركات القصيرة والطويلة: فرق في الكمية وليس في الكيفية، بمعنى أن وضع اللسان في كليهما واحد، ولكن الزمن يقصر في القصيرة ويطول في الطويلة، والذي يحدّد الطول والقصر هنا هو العرف اللغوي عند أصحاب اللغة . [27] وترسم الحركات الطويلة العربية بكتابة ألف بعد الفتحة، أو ياء بعد الكسرة، أو الواو بعد الضمّة.

وبذا يصير مجموع الحركات في اللغة العربية ستّا ، وأما في لغة الهوسا فعشرة ، خمس قصيرة هي: الفتحة والكسرة، والضمّة، والكسرة المُمَالة (e) ، والضمّة المتّسعة(O)

والضمّة المتّسعة والكسرة المُمالة ليستا بفونيمين مستقلين في العربية، كما في الهوسا، ولكن تنطق الكسرة الممالة في قراءة القرآن قراءة ورش، كما تنطق الفتحة قبل الياء في اللهجات العامية العربية مثل : بيت ، وبيض، كسرة ممالة. وأما الفتحة فتسمع أيضا في العاميات العربية عند نطق الفتحة قبل الواو مثل: خور، صوت، حوض...الخ.

وهذه أمثلة لجملة من الحركات في اللغتين محل المقارنة:

الحركة	اللغة العربية	لغة الهوسا
الفتحة (a)	ذهب	Sa (ثور)
الكسرة (i)	بنت	tafi (اذهب)
الضمة (u)	أذن	su (صيد)
الضمة المتسعة (o)	/	so (حب)
الكسرة الممالة (e)	/	bera (فار)

وترسم الحركات الطويلة في لغة الهوسا بكتابة الحرف الصائت القصير مرتين مثل (aa) ، (ee)، (oo) ....الخ ، ولكن غالبا ما يتم تجاهل كتابتها والاكتفاء بكتابة الحركة القصيرة فقط في الكتابة العادية.

وهناك حركات مركبة في لغة الهوسا، كما في : أ وْراى aure =زواج ، وفَيْفَىْ faifai = طبق ، ولكن الواقع هو أن هاتين الحركتين هما مجرد حركة واحدة زائد + صامت مثلا AURE (زواج) ، ويمكن كتابتها : Awre و Faifai ، و Fayfay ، وكل ما سبق من التشابه بين العربية والهوسا في الحروف الصامتة والصائتة إنما هو بسبب الاشتراك بينهما في الأصل الواحد ، وليس من قبيل اقتراض لغة من أخرى عن طريق الصدفة.

- **التشابه بين العربية والهوسوية سببه الفعل الحضاري :**

ثمة تشابه بين المفردات العربية و مفردات لغة الهوسا ، ولقد ذكر العلماء الأسباب الأربعة التي من أجلها يحدث التشابه بين اللغات، وهي :

1 - اقتراض إحدى اللغات من اللغة الأخرى .

2 - أن يكون هذا التشابه قد حدث بالصدفة .

3 - أن تكون الألفاظ قد صيغت بطريقة محاكاة الأصوات .

4 - قد يعني اشتراك اللغات في الكلمات دلالة على أن تلك اللغات قد نهلت من معين واحد ، وأنها من أصل مشترك [28].

وعند مقارنة هذه الأنواع الأربعة بين العربية ولغة الهوسا نلاحظ أن السبب الأول يرجع إلى سبب حضاري ، وهو اقتراض اللغة مفردات من لغة أخرى، وجعلها ضمن معجمها.

وهذا النوع موجود بكثرة بين الألفاظ الهوسوية خاصة تلك المقترضة من اللغة العربية لتأثير حضاري، ومن أمثلة ذلك: المفردات المتعلقة بالدين الإسلامي، كالصلاة والوضوء، والإيمان، والإمام ، والمأمون، والتيمّم، والزكاة،

والصدقة، وكلها تنطق كما هي في العربية إلا بعض التحريفات في بعض الألفاظ.

ومنها أيضا الكلمات التي تعبر عن الحضارة والثقافة والصناعات والأدوات والمعاملات التجارية التي دخلت بلاد الهوسا عن طريق التجار العرب المسلمين ، كالسرج الذي ينطق بالهوسا سِرْدِ (Sirdi) ، واللجام وينطق بالهوسا لِنْزَامِ (Linzami), والربا رِبَا (Riba) . وقد أثبت الباحثون أن الهوسا قد أخذت خمس مفرداتها من اللغة العربية بتأثير حضاري [29].

وتكتب لغة الهوسا بالحروف العربية وتسمى (عَجَم) وباللاتينية هوسا بوْكُوْ Hausar Boko . =

خاتمة:

لقد تعرّضنا في هذه المقالة الموجزة للحديث عن لغة الهوسا تعريفها، وخصائصها ومميزاتها، وأصلها واشتقاقها، وعلاقتها بالعربية مع التركيز في ذلك على الحروف المستعملة بين اللغتين، وأشرنا إلى أوجه البنية والمعجمية، وكذلك القوة والضعف وصفات الحروف من الهمس والجهر والأمثلة على ذلك من ألفاظ العربية والهوسوية، مما يدلّ على أوجه التشابه بين اللغتين والعلاقة العرقيّة والتأثير الحضاري بينهما .

الهوامش:

1 – **أحمد العابد**: البحث في العلاقات بين اللغة العربية واللغات الإفريقية.– المجلة العربية للدراسات اللغوية.– مطبعة التمدن: الخرطوم، (المجلد الثالث، العدد الأول، ذو القعدة 1404 هـ – 1984 م، ص. 9. .)

2 – **محمد بللو:** إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور؛ تحقيق وتنغ –Whitting لندن: 1951م ، ص. 4 .

3 – **محمد بللو** : المصدر السابق ، ص. 73 .

4 – **شيخو أحمد سعيد غلادنثي** : حركة اللغة العربية .

5- Hogben , S . J. / The Muhammaden Emirates of Northern Nigeria, 1930 , p. 163 .

6- Coleman J.S., / Nigeria Background to Nationalism California , 1958 , p. 44 .

7 – **شيخو أحمد سعيد غلادنثي** ، المرجع السابق ، ص. 27 .

8 – **الأمين أبو منقه**: كتاب تعريفي عن تاريخ الهوسا.– ط.1.– دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة و النشر: الخرطوم، 1998 م، ص. 2 .

9 – **الأمين أبو منقه** ، المصدر السابق، ص. 2 .

10- Abdullahi Smit / The early states of the central Sudan History of west Africa edited by Ajayi and crowder 1971, vol 1 , p. 187 .

11 - Abdullahi Smith , p. 187 .

12 - Hogben , p. 50 .

13 – **شيخو أحمد سعيد غلادنثي**: حركة اللغة العربية في نيجيريا ، المرجع السابق، ص. 38 .

14 - **المرجع السابق نفسه** ، ص. 36 .

15 - Muhammad Tahar Adamu Asalin / Hausawa da Harshensu , p. 2 .

16 - **شيخو أحمد سعيد غلادنثي** ، المرجع السابق ، ص 26 .

17 - **بابكر حسن قدرماري :** اللغة العربية و السواحلية والهوسا كبرى اللغات الإفريقية، المجلة العربية للدراسات اللغوية ، العدد 18 .- الخرطوم ، ص. 55 .

18 - **الطاهر محمد داود :** تحليل أوجه الشبه بين اللغة العربية ولغة الهوسا .- جامعة- بايرو : كنو نيجريا- ،1422 هـ - 2001م ، ص. 4 .

19 - **المرجع السابق،** ص. 22 . 23 -

20- An introduction to Hausa grammar M .K.M galadanci, longman, nig 1976

21 - **رمضان عبد التواب في قواعد الساميات** .- ط.2 .- مكتبة الخانجي: القاهرة، 1983, ص.3.

22 - **إ براهيم أنيس** : الأصوات اللغوية .-، ط.6 .- مكتبة الانجلو المصرية ، 1981, ص.64.

23 - **مصطفى حجازي**: العربية والهوسا نظرات تقابلية.-، جامعة أم القرى، 1985, ص. 55

24- M .A.Z . Sani / ilimin tsarin sauti na hausa , 1989 , p 9 .

25 - **مصطفى حجازي،** المرجع السابق، ص. 55.

26 - **كارل بروكلمان :** فقه اللغات السامية؛ ترجمة رمضان عبد التواب .- جامعة الرياض، 1977, ص.39.

27 - **العربية و الهوسا :** نظرات تقابلية ، المرجع السابق ، ص. 67 .

28 -**الطاهر محمد داود :** تحليل أوجه الشبه بين العربية و الهوسوية، المرجع السابق، ص. 46.

29 - **علي أبو بكر:** الثقافة العربية في نيجيريا.- ط.1.- بيروت، 1972, ص. 372 - 469.